

## الحالة الزراعية في مصر

ان مصر بلاد زراعية ثروتها في تربتها ويسر أهلها قائم على ما تنتجه أرضها من المحاصيل الزراعية ولا سيما القطن الذي صار له المقام الاول بين أقطان العالم .

وكان خليقا بها أن تكون في مقدمة الممالك الزراعية لجودة تربتها واعتدال مناخها وتوفر مياه الري فيها وكثرة الايدي العاملة في الارض وموافقة هذه التربة وهذا الجو لانتاج أنواع مختلفة من المحصولات الزراعية . ولكن من يتأمل الحالة الزراعية في مصر ويقانها بغيرها في الممالك التي لم تتوفر لها العوامل المتقدمة والتي تعد في كل بلد من أعظم أركان النجاح في الزراعة يجدان الزراعة في ألمانيا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا متقدمة تقدما باهرا وذلك لانتفاع مزارعهم بالاختراعات والاكتشافات العلمية الجديدة واستخدامهم الآلات الزراعية الحديثة في تفلح أرضهم وزرعها واصلاحها وربها وانتشار مبدأ التعاون بينهم بينما هي في مصر في درجة من الانحطاط والتأخر يؤسف لها رغم ارتفاع أثمان حاصلاتها وقطنها المشهور .

ففلاننا ما زال يفلح أرضه ويزرعها كما كان يفعل أجداده من قبل فلم يصلح طريقة من طرق الزراعة ولم يحسن نوعا من أنواع المحاصيل أو الماشية وما زال يستعمل الفأس والمحراث والشادوف والطنبور والنطالة الخوص بحالتها الطبيعية كما تركها له أجداده

(١) ربما كان لفلاحنا بعض العذر في جموده وإهماله وذلك لفشو الجهل بين طبقاته وعدم انتشار مبدأ التعاون بينهم وعدم وجود مرشدين له يأخذون بيده ويدلونه على الصالح وينبهونه لنبيذ الطالح ويكونون خير مثال له يقتدى به في عمله . لأن الزراعة في كثير من الممالك كالولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا وإيطاليا والدانمرك وهولاندا وبلجيكا لم ترق باستعمالهم الآلات الحديثة واستخدامهم الأساليب الجديدة وانتشار مبدأ التعاون بينهم فقط بل بانتشار التعليم بين جمهور الأمة وكثرة المدارس الزراعية وتعدد درجاتها وكثرة تداول المجلات والكتب والنشرات الزراعية التي تبث في كل ما يرقى الزراعة ويهم المزارعين وإنشاء الجمعيات العلمية وإقامة المعارض الزراعية كل ذلك كان سبب ارتفاع الزراعة في تلك الممالك وانحطاطها وتأخرها في مصر .

وما زال يعتمد على صنف واحد من الزراعة وهو القطن الذى صار الحاصل الوحيد في مصر ومع كل يوجد شيء من الخطر آخذ في التواء من الاقتصار في مصر على زراعة نوع واحد من الحاصلات كما هي فاعلة الآن مهما كان هذا النوع مفيدا وقت انتاجه وأن تهمل غيره من الحاصلات المنتجة الاخرى .

هذا فضلا عن أن كثيرا من الاصناف التى تزرع في الخارج يمكن زراعتها والانتفاع بها في مصر بنجاح عظيم ولكن لم يعمل أحد على ادخالها وتجربتها ونشرها في أنحاء القطر .

ان مصر حقيقة بلاد زراعية وفوق ذلك بلاد خاصة بزراعة القطن وقد أصبحت الآن أهم سوق له في العالم الا أنها للأسف أصبحت عاجزة عن تغذية سكانها بعد أن كانت أهم سوق للغلال والحبوب على سواحل البحر الابيض المتوسط .

وصارت تستورد كثيرا من الحاصلات الزراعية مما يمكن استخراجها من أرضها كأنواع كثيرة من الفاكهة الطرية والناشفة وكثير من الخضراوات والبقول وأغذية نباتية وحيوانية مكبوسة وترمس وحلبة وحمص وبسلة وبزر كتان وبطاطس ودقيق القمح والذرة وأصناف الجبن والزبدة الطرية .

وأصبحت أرض مصر التى كان يضرب بخصبها ونتاجها الامثال لا تقل الا محصولا ضعيفا منحط النوع فقد كان متوسط محصول الفدان الواحد من القطن (الذى هو أهم الحاصلات الزراعية وأكبر ركن من أركان الثروة العمومية في البلاد) في سنة ١٨٩٧ خمسة قناطير وثمانين رطلا ثم نزل في سنة ١٨٩٩ الى ٥٠٦٤ ثم انخفض في سنة ١٩٠١ الى ٥١٠ ثم هبط في سنة ١٩٠٣ الى ٤١٨٨ ثم سقط في سنة ١٩٠٤ الى ٤٣٩ ثم هوى في سنة ١٩٠٨ الى ٤١٢ ثم انحط في سنة ١٩١٥ الى ٤٠٢ حتى تدهور في سنة ١٩١٦ الى ٣٠٦ ولا يعلم الا الله كم يكون بعد عشر سنين اذا أهملنا شؤون الزراعة في المستقبل كما أهملناها في الماضي .

وحظ البزرة مثل حظ القطن •

وما قلناه عن القطن والبزرة قل مثله عن سائر المزروعات المصرية في العجز في كميتها والانحطاط في أنواعها والنقص في جودتها في اطراد مستمر ولا يعلم الا الله مبلغ الحسارة التي تصيب ثروة القطر العمومية من جراء بقاء ادارة شؤون الزراعة المصرية على ما هي عليه الآن •

وبينما نجد متوسط محصول الاطيان في البلاد الحية في ازدياد مطرد يبلغ في بعض الحاصلات ١٥٠ في المائة وفي البعض الآخر ١٠٠ في المائة وفي البعض الاخير ٨٠ في المائة نجد متوسط محصول الاطيان في مصر في نقص مستمر يبلغ في بعض الحاصلات ٤٥ في المائة وفي البعض الآخر ٤٠ في المائة وفي البعض الاخير ١٥ في المائة •

واطراد النقص ليس قاصرا على القطن والبزرة والقمح والارز والشعير بل قد عم أيضا المواشى والدواب والابل والاعنام التي هي من ألزم حاجيات الزراعة<sup>١</sup>

وأول ظهور النقصان في عدد البقر والجاموس كان حوالى عام ١٩٠٨ وظل هذا النقص مطردا في السنوات التالية حتى يومنا هذا ويبلغ النقص في البقر ٣٦ في المائة وفي الجاموس نحو ٣٢ في المائة في خلال تسعة أعوام (من سنة ١٩٠٨ حتى سنة ١٩١٦) وقد شمل هذا النقص جميع جهات القطر<sup>٢</sup>

وأصبحت أطياننا الزراعية وغلتها لا تكفى سكان القطر الذين يتزايدون عاما فعاما وأصبحت مساحتها لا تتناسب مع عدد فلاحينا ولذا صار من الواجب العمل على توسيع نطاق الاراضى الصالحة للزراعة حتى تسد طلبات سكان القطر المتزايدة وتشتغل كثيرا من الابدنى التي ييخشى ان بقيت عاطلة أن تعمل على تهديد العالم وتنمو بها ثروة البلاد الزراعية •

(٢) مذكرة لوزارة الزراعة

(١) من مقال الاستاذ عزيز خانكى

لقد كان القطر المصرى يكفى أبناءه مؤوتهم قبل ثلاثين عاما أما الآن وقد أصلح من أراضيه في خلال ذلك الزمن ٦١ في المائة مما كان أولا وزاد سكانه ٩١ في المائة فقلت زيادة الارض عن زيادة السكان بـ ٣٠ في المائة فلاشك أن هذا العدد المتزايد من السكان لا يجد رزقه في الصناعة والحرف (لان البلد ليست صناعية) وعلى ذلك يأكل من المتوفر لغيره •

أما معدل ما يصلح من الاراضى في كل عام فانه لا يتجاوز ٣٠ ألف فدان مع أن حاجة الاهالى وزيادة عددهم تتطلب أن يكون هذا المعدل ٥٠ ألف فدان حيث أن الاهالى يتزايدون على نسبة هندسية<sup>١</sup>

لقد ضاق هذا القطر بسكانه ولذلك فان تزايدهم الطرد المستمر يتطلب معالجة الموضوع وتدبره أكثر مما كان قبلا وذلك يدعو الى النظر في التوفيق الى أساليب جديدة للإصلاح حتى يمكن تدبير أرض جديدة صالحة للزراعة يجد فيها هذا العدد المتزايد رزقه فيقوم بتفليحها وزرعها ويعيش من إنتاجها •

وفي مصر من الاراضى المحتاجة الى الإصلاح ما يربو على ثلث الاطيان الزراعية الحاضرة وهى تشمل الاراضى البائرة في داخل البلاد وكذا البحيرات الواقعة في شمال الدلتا وأراضى البرارى المحيطة بها • وليس وقت أنسب للعمل على اصلاحها من هذا الوقت الذى ارتفعت فيه أثمان الحاصلات الزراعية وأثمان الاطيان وايجاراتها وكثر عليها الطلب •

ومصر وان كانت بلادا زراعية من قديم الزمن الا أن مساحة الاطيان الزراعية فيها لم تزد عن ٦٠٠٠٠٠ ر ٨٠٠٠٠٠ فدان منها فى الوجه البحرى ٢٨١٥٠٠٠ ر ٥١٩١٠٠٠ فدان وفى الوجه القبلى ٢٨١٥٠٠٠ ر

وليست جميع هذه الاطيان منزوعة بل هي تشمل الاراضى التى تزرع الآن بجميع القطر والتى يمكن أن تزرع لو أصلحت وما لا يمكن زرعه من الترع والمصارف والجسور والبرارى والرمال وما أشبهه .

ومساحة الاطيان المنزوعة بالوجه البحرى تبلغ ٣٠٠٠ ر ٣٠١٣ ر يجنى منها محصولان في العام وغير المنزوعة ٢٠٠٠ ر ١٧٨ ر فاذا توفرت المياه لها وزرعت جنى منها محصولان في العام .

وفي الوجه القبلى تبلغ المساحة المنزوعة ٣٠٠ ر ٢١٩ ر فدان منها مليون ومائتا ألف فدان تروى رى حياض وتغل محصولا واحدا ومليون فدان تروى ربا صيفيا وتغل محصولين .

وفي الوجه القبلى ٧٠٠ ر ٥٩٥ ر فدان تصلح للزراعة ولكنها لا تزال بورا ومعظمها واقع في مديرية الفيوم فاذا تيسر لها وللمليون ومائتى الف فدان التى تروى رى حياض الآن المياه الصيفية اللازمة صار يجنى منها محصولان .

وتصبح غلة اطيان القطر المصرى كله ما يعادل خمسة عشر مليوناً وأربعمائة ألف فدان وهو منتهى ما يمكن أن تبلغه الزراعة في مصر من التقدم والتوسع<sup>٢</sup>

وهذه الاطيان غير المنزوعة والمحتاجة للاصلاح والتى تبلغ نحو ثلث اطيان القطر الزراعية الحاضرة تحتاج الى ماء وافر لاصلاحها والى وسائل صرف قماشى ووسائل الري خطوة فخطوة حتى لا تعود لحالتها الاولى ثانية ولكن صار يخشى عليها من أن لا تتوفر لها المياه الكافية ولبقية اطيان القطر اذا شاركها سهل الجزيرة بأطيانه المتسعة في مياه النيل السعيد .

وارتفعت أثمان اطياننا الزراعية وابعادها ارتفاعا هائلا حتى أن الفدان الواحد بيع في الصعيد بمبلغ سبعمائة جنيه وصار يخشى من أن ترتفع أثمانها الى درجة أعلا من الحد الذى يتناسب مع غلتها ونبلى بأزمة

كالتى أصابت البلاد عقب ذلك الارتفاع الهائل الذى بلغته أثمان عقاراتنا قبل أزمة سنة ١٩٠٧ فننزل قيمة العقارات عموما والاطيان خصوصا • وما السبب في هذا الارتفاع الا رغبة جميع المصريين الشديدة في الارض ولذا فان معظم رؤوس الاموال في هذه البلاد تستغل فيها سواء كانت اطيان زراعية أو عقارات •

مع أن الواجب يقضى علينا بأن لا نعتمد على نوع اقتصادى واحد وهو الزراعة بل يجب علينا أن نستثمر أموالنا في أبواب أخرى غير طريق العقار حتى اذا هبط ايراد نوع أمكننا أن نستفيد من الآخر ومن المستحسن جدا أن تكون هذه الابواب التى نطرقها من المرتبطة بالزراعة حتى ترقى الزراعة وتنمو ثروة البلد الزراعية برقيها •

وزاد عدد ملاكنا كبارا كانوا أو صغارا ونقص عدد متوسطو ملاكنا تبعا لذلك مع أن هذا ليس من صالح الثروة الزراعية في بلد كمصر المصدر الطبيعى الوحيد لثروتها هو الزراعة اذ أن زيادة انتاج الارض الزراعية يتوقف بدرجة عظيمة على طريقة ملكيتها وتوزيعها بين السكان وطريقة استثمارها •

وكل ما تقدم دليل على انحطاط الزراعة في مصر وتأخرها ولم يكن اهمال فلاحنا واستعماله الآلات الثمينة ومحافظة على التقاليد الزراعية القديمة بدون تحسين ولا اصلاح السبب الوحيد الذى أخرج الزراعة في مصر بل هنالك عوامل كثيرة أثرت عليها فأوهنتها وأدت الى انحطاطها وتأخرها •

أولها — التغير الذى اعترى سطحها فأتلف تربتها وأضعف معدتها وقلل انتاجها وأفقدتها شيئا من خصوبتها الثمينة وأوجدتها في المركز الزراعى الحالى وذلك بسبب كثرة النشع وقلة وسائل الصرف اللازمة لازالة المياه الزائدة من الارض والمغلاة في زراعة القطن وعدم رد شيء من المواد التى صدرت الى الارض ثانية وقد يكون سبب ذلك أيضا ابدال الرى بالاحواض بالرى الصيفى ومن غير أن ينتظر في اعطاء الارض قسطها من طمى النيل التى كانت تأخذ سنويا •

وثانيها انتشار الآفات والحشرات التي تصيب مواشها ودوابها وحاصلاتها  
وشجرها والتي كثر عددها وضررها عما كان عليه قبل والتي لم يوفق  
أحد الى طريقة فعالة لابطادتها .

فما يصيب القطن وحده من مختلف الآفات المنتشرة بالقطر يقلل  
محصوله بما يتراوح بين ٢٠ و ٢٥ في المائة <sup>١</sup> .

وقد تدر المستر Baillou أن ما يصيبه من التلف من جراء دودة اللوز  
القرنفلية وحدها يبلغ ١٧ في المائة من المجموع أى ما يزيد على مليون  
قنطار في السنة <sup>٢</sup>

وقس على ذلك الضرر والعجز الذى يصيب بقية الحاصلات والاشجار  
والمواشى والدواب والاغنام من جراء الآفات والحشرات المختلفة  
المنتشرة بجميع أنحاء القطر .

وكيفما كانت حال الزراعة في مصر في الماضى فان الاحوال الحاضرة  
(التي ارتفعت فيها أثمان الاطيان وايجاراتها وحاصلاتها ولاسيما قطنها  
المشهور هذا الارتفاع الهائل الذى لم يسبق له نظير في تاريخ الزراعة  
في مصر) تقضى بذل الهمة والنشاط في تحسين ادارة شؤون الزراعة  
المصرية والجرى فيها على الاساليب الحديثة التي يثبت العلم والاختبار  
فضلها وملائمتها لحالة القطر ومقدرة سكانه حتى تنتج تربة مصر أكثر  
المستطاع من المحصول وأجوده وايجاد فروع جديدة للزراعة وانشاء  
المصانع اللازمة للزراعة أيضا وترقية جانب من الاعمال الزراعية أو  
التي لها ارتباط بالزراعة وبالاختصار افراغ قصارى الجهد في الاستفادة  
من كل مزية للبلاد في تربتها ومائها وجوها وشعبها حتى تقوم مصر  
بعملها الطبيعي وهو انتاج المحصولات الزراعية المختلفة وارسالها للعالم  
بأسره .

(١) وزارة الزراعة

(٢) اخصائى فى الحشرات أحضرته وزارة الزراعة ليفحص الطرق المتبعة فى اادة دودة

اللوز .